مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263 ISSN:2958-8537 Issue: N14
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الفواتح الانشائية الطلبية لسور القرآن الكريم/ دراسة نصية
سورة الإنسان والنبأ والغاشية أنموذجاً

Order structural openings of the Holly Quran surahs /text study
Surat AL-Insan , AL-Naba and Ghashiya

الباحث: محمد شلاش السطم

The Researcher / Mohammed Shlash El satom

طالب دراسات عليا في جامعة الزهراء-تركيا

A graduated student at AL Zahraa university

Email: Mhmd.stm81@gmail.com

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

الملخص:

يتناول هذا البحث **الفواتح الإنشائية الطلبية لسور القرآن الكريم**، قسم من الانشاء الطلبي وهو: (الأمر، والاستفهام، والنداء). ويهدف البحث إلى إظهار بلاغة القرآن الكريم، وجمال أسلوبه وإعجازه. وخدمة القرآن الكريم المصدر الأول في التشريع. الرغبة في إبراز دور أساليب الفواتح الانشائية الطلبية لسور القرآن الكريم. وقد حرصت كل الحرص على تتبع آراء العلماء بالرجوع إلى أمهات الكتب واعتمدت على الكثير من أمهات الكتب النحوية والبلاغية والتفسير وفي علم اللسانيات. كما اعتمدت على المنهج الوصفي، القائم على الاستقراء والتحليل، فقمت بتعريف الفواتح والإنشاء والطلب والاتساق، ثم قسمت دراستي هذه إلى ثلاثة مباحث، وكل مبحث إلى مطلبين؛ تناول المطلب الأول الاتساق في السورة المبحوثة، والمطلب الثاني الانسجام في السورة المبحوثة، مع دراسة الفاتحة الانشائية نحوياً وبلاغياً والاهتمام بالتفسير وأقوال العلماء بالسورة المبحوثة. وختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الفواتح، الإنشاء، الطلبية، سور، القرآن الكريم.

The summary

This research deals with the structural openings of the order of the Holy Qur'an, and I have dealt in my study with a topic of the structural order which is: (order, interrogative, and call).

The research aims to show the eloquence of the Holy Qur'an, and the beauty of its style and miracles. The service of the Holy Quran is the first source of legislation. The desire to highlight the role of the methods of structural openings for the Holy Qur'an.

I have been very keen to follow the opinions of scholars by referring to the mothers of books and have relied on many mothers of grammatical, rhetorical, exegesis and linguistics. I also relied on the descriptive method based on induction and analysis, so I

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263 ISSN:2958-8537 Issue: N14
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

defined the openings, structure request and consistency, and then divided my study into three topics and each topic into two branches; The first branches deals with consistency in the discussed surah, the second with harmony in the examined surah, with a study of the structural opening grammatically and linguistically, and with attention to interpretation and the scholars' opinions in the discussed Surah The research concluded with the most important results and recommendations.

Key words: Openings , structure , order , surahs , the Holly Quran.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد: إنَّ دراستي هذه تحمل عنوان الفواتح الإنشائية الطلبية لسور القرآن الكريم دراسة نصية، أحاول فيها أن أبين بلاغة أساليب الإنشاء الطلبي في فواتح سور القرآن الكريم، والمقارنة بين آراء المفسرين والبلاغيين.

أهمية البحث:

- قلة الدراسات التطبيقية التي تناولت الإنشاء الطلبي في فواتحِ سورِ القرآن الكريم.
- هذه الدراسةُ تثري الباحثَ وتمُدَه بملكات البحث والدراسة، لاسيما أنها تدرس الإنشاءَ الطلبي وأهمَ ثلاثةِ أقسام فيه ألا وهي: الاستفهامُ والنداءُ والأمر.
- تأتي أهميةُ البحثِ من المكانةِ الرفيعةِ والانسجام بين علوم العربية والقرآن الكريم والذي تشرَّفتُ ببحثي هذا لأنْ أتطرَّقَ لهذه الأهميةِ الكبيرةِ والانسجام والتناغمِ بينهما وأسألُ اللهَ تبارك وتعالى أن يكتب لها القبول.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أهداف البحث:

- إظهارُ بلاغةِ القرآنِ الكريمِ وجمالِ اسلوبه وإعجازه.
- خدمةُ القرآنِ الكريم المصدر الأول في التشريع.
- الرغبةُ في إبرازِ دورِ أساليب الفواتح الإنشائية الطلبية لسور القرآن الكريم.

منهجية البحث:

اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي التحليلي وأدواته كالملاحظة والاستقراء.

إشكالية البحث:

تدور إشكالية البحث الرئيسية حول الفواتح الإنشائية الطلبية لسور القرآن الكريم ودراستِها دراسةً نصيةً في ضوءِ القرآنِ الكريمِ وإعجازِهِ وروعةِ انسيابه وأيضاً في النحو والبلاغة.

توطئة:

الفواتح:

هو ما يفتتح به الشيء ويبتدأ به؛ فلكل شيء فاتحة وفاتحة القرآن سورة سميت بالفاتحة، وللباب مفتاح من أجل فتحه والدخول إلى البيت.

الإنشاء: هو الإيجاد، أنشأ: أوجد. والإنشاء هو: القدرة على وضع الكلمة المناسبة في المكان المناسب.

الطلب: هو ما يستدعي أمرًا غير حاصل لحظة الطلب، فمثلًا عند قولك: "ادرس" يستدعي ذلك الأمر طلب فعلٍ ليس حاصلًا في هذه اللحظة، فاللفظ قد سبق الفعل، ومنه أيضاً عند قولهم: لا تكتبْ، فإنّ الامتناع لم يحصل بعد، بل اللفظ قد سبق الفعل، ومنه أيضًا قولهم: يا أحمد، فالنداء السّابق يستدعي إقبال أحمد وهو أمرٌ غير حاصل، فاللفظ أيضاً هنا قد سبق المضمون، وهكذا فإنّ الإنشاء الطلبي هو عبارة عن لفظٍ يسبق مضمونه، ويكون خلال هذا اللفظ طلب لحصول

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

هذا الأمر.

الاتساق:

لغة: استوسقت الإبل: أي اجتمعت ووسق الإبل: أي طردها وجمعها واتسقت الإبل واستوسقت، اجتمعت، وقد وسق الليل واتسق وكل ما انضم فقد اتسق، والطريق يأتسق، ويتسق، أي ينضم واتسق القمر: أي استوى وفي القرآن الكريم: (فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ، وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ، وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ) [سورة الانشقاق: 16-18].

واتساق القمر امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة (13-14-15) والوسق ضم الشيء إلى الشيء، وقيل كل ما جمع فقد وسق، والاتساق: الانضمام.

يتضح مما ورد أن كلمة الاتساق كثيرة المعاني، إلا انها تكاد تجتمع في معانٍ معدودة، رغم تشعب استخدامها إذ تستخدم في مجملها في معاني الاجتماع، والانضمام، والانتظام، والاستواء الحسن[1].

الاتّساق اصطلاحاً:

يُقصد به التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ أو خطاب، ويهتمّ فيه بالوسائل اللّغويّة الشّكليّة الّتي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته، ويُعدّ (الاتّساق) شرطاً ضرورياً، وكافياً للتّعرف على ما هو نص، وعلى ما ليس نصاً"[2].

الاتساق هو أحد المفاهيم الرئيسية في لسانيات النص، وقد يخص التماسك على المستوى البنائي الشكلي، اذ يعرفه محمد خطابي: على انه:(ذلك التماسك الشديد بين الاجزاء المشكلة لنص/خطاب ما، يهتم فيه بالوسائل اللغوية الشكلية التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب، أو خطاب برمته).

1 ينظر المعجم الوسيط، ج2/ ص1532.

2 لسان العرب لابن منظور، حرف الواو باب وسق.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ومما هو واضح ان هذا التماسك لا يقتصر على امر محدد بذاته، وانما يتكون من مجموعة من ادوات الترابط النحوي والمعجمي التي تعتبر مكونات فعالة في تحقيق الجانب الاتساقين اذ لا يمكن ان نطلق على نص انه متسق الا إذا تحقق وجود مجموعة من الروابط التي تعمل على تماسكه.

ثم يعرج الباحث على كيفية رصد تحقيق الاتساق في نص من النصوص، فيواصل قائلا:(ومن اجل وصف اتساق الخطاب "النص" يسلك المحلل الواصف طريقة خطية متدرجاً من بداية الخطاب "الجملة الثانية منه غالباً" حتى نهايته راصداً الضمائر والاشارات المحلية إحالة قبلية او بعدية، مهتماً ايضاً بوسائل الربط المتنوعة، كالعطف، والاستبدال، والحذف، والمقارنة، والاستدراك.. كل ذلك من أجل البرهنة على أنَّ النص "الخطاب" يشكل كلاً متآخذاً)[1].

وهذه الروابط هي الروابط التي عدها كل من: محمد خطابي وهاليداي ورقية حسن من أهم الروابط المساهمة في اتساق النص وتماسكه، يعني الطّريقة الّتي يتمّ بها ربط الأفكار داخل النّص، فالاتّساق أو السّبك يتعلّق بالجانب النّحْويّ الشّكليّ، والانسجام أو الحبْك يتعلّق بالجانب الدّلاليّ.

سورة الإنسان: هي سورة مكية وآياتها إحدى وثلاثين آية، وتعد السورة السادسة والسبعين وفق الرسم العثماني، أما حسب النزول فترتيبها ثلاثون. وسميت بسورة الانسان لافتتاحها الحديث عن الانسان. وتعرف الانسان بحاله وابتداء أمره، ليعلم ألا طريق له للكبر، واعتقاد السيادة لنفسه.

سورة النبأ: أو سورة عمَّ، سورة مكية، كلها نموذج كامل لأهوال يوم القيامة، وصورها المرعبة، تتحدث عن مشاهد الحساب والجزاء والعقاب، تتحدث عن النعيم والجحيم في صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد القيامة الكونية في ضخامتها وهولها. مقصودها: الدلالة على أن يوم القيامة الذي كانوا مجمعين على نفيه، وصاروا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم في خلاف مع المؤمنين ثابت ثباتاً لا يحتمل شكاً ولا خلافاً بوجه من الوجوه

[1] ينظر لسانيات النص، محمد خطابي.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

سورة الغاشية: سورة مكية وآياتها ست وعشرون، ونزلت لتعرف الناس على أحوال وأهوال يوم القيامة، ومدى هولها على الكفار والعذاب الذي ينتظرهم، والغرض من السؤال: (هل أتاك حديث الغاشية)، التعظيم والتعجب مما في حيزه. فأطلق السؤال للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة والخطاب للناس كافة وعامة.

الدراسات السابقة:

لا يوجد دراسات سابقة تتحدث عن الفواتح الإنشائية الطلبية لسور القرآن الكريم–في حد علمي– لأنَّ هذا الموضوع لم يُسبق له أن طُرِق أو كُتب فيه إلَّا بعض الدراسات التي تدور في فلكه وليس في جوهر وحرفية ما أبحث باستثناء دراستين:

- ✓ مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي.
- ✓ علاقة المطالع بالمقاصد ل ابراهيم هدهد.

وهما دراستان نظريتان.

حدود البحث:

دراسة بعض أدوات الإنشاء وهي: (الاستفهام والنداء والأمر) التي جاءت فاتحة لأوائل السور القرآنية بها وعدد الآيات الاستفهامية ست آيات، والندائية عشر آيات، والأمرية، سبع آيات.

المبحث الأول: سورة الإنسان:

﴿هلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الانسان: 1]

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

"سميت بسورة الإنسان لافتتاحها بالحديث عن الإنسان وخلقه"[1]. "وسميت في زمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (سورة هل أتى على الإنسان)، وتسمى (سورة الدهر) في كثير من المصاحف. وقال الخفاجي: تسمى (سورة الأمشاج) لوقوع لفظ الأمشاج فيها، ولم يقع في غيرها من القرآن. وذكر الطبرسي: أنها تسمى (سورة الأبرار) لأن فيها ذكر الأبرار ونعيمهم. فهذه خمسة أسماء لهذه السورة.

وهي سورة مكية وآياتها إحدى وثلاثين آية، وتعد السورة السادسة والسبعين وفق الرسم القرآني، أما حسب النزول فترتيبها ثلاثون.

واختلف فيها، فقيل هي مكية، وقيل هي مدنية، وقيل: بعضها مكي وبعضها مدني، عن ابن عباس وابن أبي طلحة وقتادة ومقاتل: هي مكية، وهو قول ابن مسعود؛ لأنه كذلك رتبها في مصحفه فيما رواه أبو داوود، كما سيأتي قريباً، وعلى هذا اقتصر معظم التفاسير، ونسبه الخفاجي إلى الجمهور.

وروى مجاهد عن ابن عباس أنها مدنية وهو قول جابر بن زيد، وحكى عن قتادة أيضاً. وقال الحسن وعكرمة والكلبي: هي مدنية إلا قوله (ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً) [الانسان: 24]. والأصح أنها مكية؛ فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية ولا أحسب الباعث على عدِّها في المدني إلا ما رُوي أنَّ آية ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيراً﴾ [الإنسان: 8]، نزلت في علي ابن أبي طالب، في إطعامه مسكيناً ليلة ويتيماً أخرى، وأسيراً ثالثة، ولم يكن للمسلمين أسرى بمكة حملاً للفظ أسيراً، على أسير الحرب. وعدَّها جابر بن زيد الثامنة والتسعين في ترتيب نزول السور. وقال نزلت بعد سورة الرحمن، وقبل سورة الطلاق. وهذا جرى على من رآها مدنية"[2].

والآن سأتحدث عن الاتساق والانسجام بوصفهما فرعي الدراسة النصية، وكونهما محور بحثي هذا ودراستي.

المطلب الأول: الاتساق في سورة الإنسان:

1 الزحيلي، وهبة، التفسير المنير، ص279.

2 ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، (ج22، ص369).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263 ISSN:2958-8537 Issue: N14
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

"(هل) فيها وجهان: الأول: هي بمعنى (قد). الثاني: هي استفهام على بابها، والاستفهام هنا للتقرير والتوبيخ. وعبارة السمين: في (هل) هذه وجهان:

أحدهما: إنها على بابها من الاستفهام المحض الذي معناه التقرير: وهو تقرير لمن أنكر البعث فلا بد أن يقول: نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه. فيقال له: من أحدثه بعد أن لم يكن، وكونه بعد عدمه كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته؟ هو معنى قوله:(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلأُولَىٰ فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ) [الواقعة: 62]، أي فهلا تذكرون فتعلمون أن من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن، قادراً على إعادته بعد موته وعدمه، فقد جعلها للاستفهام التقرير لا للاستفهام المحض، وهذا هو الذي يجب أن يكون؛ لأن الاستفهام لا يرد عليه من الله تعالى إلا على هذا النحو وما أشبهه. الثاني: أنها بمعنى قد"[1].

جملة ﴿هلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ جملة استفهامية طلبية مفردة، غير مركبة، من حيث نوعها؛ لأنه لم يرد جواب للاستفهام في جملتها.

جاء في تفسير الفخر الرازي حول تفسير الآية الكريمة، قال: "اتفقوا على أنَّ (هل) هنا وفي قوله تعالى: (هل أتاك حديث الغاشية)، بمعنى "قد"، كما تقول: هل رأيت صنيع فلان، وقد علمت أنه رآه، وتقول هل وعظتك، هل أعطيتك، ومقصدك أن تقرره بأنك قد أعطيته ووعظته، وقد تجيء بمعنى الجحد، تقول: وهل يقدر أحد على مثل هذا؟ وأما أنها تجيء بمعنى الاستفهام فظاهر. والدليل عل أنها ههنا ليست بمعنى الاستفهام وجهان:

الأول: ما روي أن الصديق رضي الله عنه لما سمع هذه الآية قال: يا ليتها كانت تمت فلا نبتلى. ولوكان ذلك استفهاماً لما قال ليتها تمت، لأن الاستفهام، إنما يجاب بلا أو نعم، فإذا كان المراد هو الخبر، فحينئذٍ يحسن ذلك الجواب.

الثاني: أن الاستفهام على الله تعالى محال فلا بد من حمله على الخبر.

1 درويش، محي الدين، إعراب القرآن الكريم، (ص5532).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المسألة الأولى: اختلفوا في الإنسان المذكور ههنا فقال جماعة من المفسرين يريد آدم عليه السلام، ومن ذهب إلى هذا قال: إن الله تعالى ذكر خلق آدم عليه السلام في هذه الآية ثم عقَّب بذكر ولده في قوله: (إنَّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليه) [الإنسان: 2]، والقول الثاني: أنَّ المراد بالإنسان بنو آدم بدليل قوله: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة)، فالإنسان في الموضعين واحد، وعلى هذا التقدير يكون نظم الآية أحسن.

المسألة الثانية: (حين) فيه قولان: (الأول) أنه طائفة من الزمن الطويل الممتد وغير مقدر في نفسه.

و(الثاني) أنه مقدَّر بالأربعين، فمن قال المراد بالإنسان هو آدم قال المعنى أنه مكث آدم أربعين سنة طيناً إلى أن نفخ فيه الروح، وروي عن ابن عباس أنه بقي طيناً أربعين سنة وأربعين من صلصال وأربعين من حمأ مسنون فتَّم خلقه بعد مائة وعشرين سنة، فهو في هذه المدة ما كان شيئاً مذكوراً. وقال الحسن: خلق الله كل الأشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الأيام الستة التي خلق فيها السماوات والأرض، وآخر ما خلق آدم عليه السلام، وهو قوله: (لم يكن شيئاً مذكوراً)، فإن قيل: إنَّ الطين والصلصال والحمأ المسنون قبل نفخ الروح فيه ما كان إنساناً، والآية تقتضي أنه قد مضى على الإنسان حال كونه إنساناً حين من الدهر مع أنه في ذلك الحين ما كان شيئاً مذكوراً، قلنا أن الطين والصلصال إذا كان مصوراً بصورة الإنسان ويكون محكوماً عليه بأنه سينفخ فيه الروح وسيصير إنساناً صح تسميته بأنه إنسان، والذين يقولون: الإنسان هو النفس الناطقة، وإنها موجودة قبل وجود الأبدان، فالإشكال عنهم زائل، واعلم أنَّ الغرض من هذا التنبيه على أن الإنسان محدث، ومتى كان كذلك فلا بد من محدث قادر.

المسألة الثالثة: (لم يكن شيئاً مذكوراً) محله النصب على الحال من الإنسان كأنه قيل: هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور. أو الرفع على الوصف لحين، تقديره: هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً فيه"[1].

وذكر البيضاوي في تفسيره أنَّ "(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)، استفهام تقرير وتقريب، ولذلك فُسِّرَ بقد، وأصله (أَهَلْ)كقوله:

1 الرازي، الإمام محمد فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، (ج30/ص235)، ط1، دار الفكر(1401هـ،1981م).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

أَهَلْ رَأَوْنا بسفح ذي القاع والأكمِ.

(حينٌ من الدهرِ)، طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير محدود.

(لم يكن شيئاً مذكوراً)، بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية كالعنصر والنطفة، والجملة حال من الإنسان أو وصف لحين، بحذف الراجع، والمراد بالإنسان الجنس، لقوله:

(إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ)، أو آدم بَيَّن أولاً خلْقه ثم ذكر خلْقَ بنيه.

(أمشاجٍ) أخلاط، جمع مِشْج أو مَشْج أو مشيج، من مشجتُ الشيء إذا خلَطْتُه، وجَمَعَ النطفة به لأن المراد بها مجموع منِيّ الرجل والمرأة، وكل منهما مختلف الأجزاء في الرِقَّة

والقوام والخواص، ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضوٍ"[1].

﴿هلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾

في هذه الآية الكريمة وما يليها من آيات ترابط في الموضوع فالمولى تبارك وتعالى يتكلم عن الإنسان وبداية خلقه، ومراحل تكوينه، وكيف مرَّ بهذه الأطوار، فبدأ بالاستفهام الإنكاري القاطع بأنه لا يُترك سدىً، فقال: (هل أتى) بأي حالٍ من الأحوال أو وجه من الوجوه، (على الإنسان)، هذا المخلوق الذي كرمه الله على سائر المخلوقات وفضله عليها جميعاً بالعقل، وأمره بالعبادة والامتثال لأمره وطاعته، (حين من الدهر) مقدار من الزمن وفترة منه، قدَّره بعضُ العلماء بأربعين سنة، وقدره آخرون بمائة وعشرين سنة وهي الفترة التي مرَّ بها آدم عليه السلام من الطين والصلصال ثم الحمأ المسنون إلى نفخ الروح فيه، (لم يكن شيئاً مذكوراً) أي في ذلك الوقت والحين كوناً راسخاً، أي شيء له اعتبار أو ذكر ظاهر في الملأ الأعلى، وأراد العلماء بـ (الدهر)، الفترة الزمنية، والزمان هو مقدار حركة الفلك. ثم يقول الباري جل شأنه: (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاجٍ نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً) [الإنسان:2]، أنظر إلى هذا الترابط في السرد وفي الآيات، يمهد الباري جل شأنه بالسؤال الاستنكاري، والسؤال الذي يحمل معنى التحقق؛ قد أتى على الإنسان فترة

1 البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التأويل أسرار التنزيل (تفسير البيضاوي)، (ص1665).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

زمانية قبل خلقه ونفخ الروح فيه فهو كائن لا حياة فيه ولا روح. ثم يستأنف الباري جل في علاه قوله: (إنا خلقنا الإنسان من نطفةٍ أمشاجٍ نبتليه)، فأصل خلق الإنسان من تراب، وهو آدم عليه السلام، ومن ثم صار التناسل والتكاثر عن طريق التزاوج وامتزاج ماء الرجل بماء المرأة. (أمشاج) وهو اختلاط المائين، وكل ذلك من أجل العبادة، (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات:56]، ويقول جل شأنه: (نبتليه)، أي نختبره. ففي الآيتين ارتباط وثيق، وتدرج في التكوين ومن ثم نفخ الروح ومن بعدها الولادة وبعدها الاختبار الإلهي لهذا الصنف البشري يطيع أم يعصي.

الجملة	نوع الجملة	الاداة	المحال	المحال اليه	أداة الربط	ملاحظات
هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا	استفهامية طلبية	هل	حين إحالة بعدية	الضمير في أتى(هو)	على من	(فيه حذف) والتقدير لم يكن الإنسان فيه شيئاً مذكورا

المطلب الثاني: الانسجام في سورة الإنسان:

و أما عن ارتباطها بالسورة التي قبلها –سورة القيامة– فهو في غاية الوضوح، فالمولى تبارك وتعالى ذكر في أواخر سورة القيامة مبدأ خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها، النطفة ومن ثم المضغة ومن ثم العلقة ومن بعدها نفخ الروح فيه بعد أربعة أشهر ليأخذ شكله الكامل ومن ثم يَكْمُلُ حمله في بطن أمه تسعةَ أشهرٍ، ومن ثم الولادة وخروجه من بطن أمه ليصبح كائناً يعيش على الأرض، فمنه الذكر ومنه الأنثى، وافتتح الباري جل في علاه سورة الإنسان بما ختم به سورة القيامة وهو الاستفهام **(أَلَيْسَ ذلِكَ بِقَادِرٍ علىَ أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى)** [القيامة:40]، استفهام الغرض منه التحقيق والتقرير، **(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)**، فيكرر الحق جل شأنه ذكر أصل خلقة الإنسان وما انتهى به في سورة القيامة يفتتح به سورة الإنسان فيقول: **(إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً)**.

ويتم إرضاعه ويباشر في النمو والتطور بالمراحل الأولى، وقد جاء في الحديث في كتاب الأربعين النووية، الذي يرويه عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجه البخاري ومسلم: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم مضغة متل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد)، وافتتح سورة الإنسان بـ **(هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)**، فبدأ بخلق آدم عليه السلام ومن ثم خلق بنيه من اختلاط ماء الرجل بماء المرأة فيمتزجان ليصبحا نطفة ومن ثم تمر بمراحلها التي ذكرناها من قبل، العلقة والمضغة..

وجاء أيضاً في كتاب تناسق الدرر في تناسب السور "أقول وجه اتصالها بسورة القيامة في غاية الوضوح. فإنه تعالى ذكر في آخر تلك مبدأ خلق الإنسان من نطفة، ثم مثل ذلك في مطلع هذه السورة، مفتتحاً بخلق آدم أبي البشر. ولمَّا ذكر هناك خلقه منهما، قال: **(فَجَعَلْنَاهُ سَمِيْعَاً بَصِيْراً)**، فعلق به غير ما علق بالأول، ثم رتب عليه هداية السبيل، وتقسيمه إلى شاكر وكفور ثم أخذ في جزاء كل.

ووجه آخر، هو أنه لما وصف حال يوم القيامة في تلك السورة، ولم يصف فيها حال النار والجنة،

تفصيل أحوال المؤمنين في الجنة مفصَّل هنا في قوله تعالى: **(إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً)** إلى: **(إِنَّ هَذا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُوراً)** [سورة الانسان:5-22].

وذلك كله شرح لقوله تعالى هناك: **(وجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَة)**، وقوله هنا: **(إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلكَافِرِيْنَ سَلاسِلاً وأَغْلالاً وسَعِيراً)** [الانسان: 4]، شرح لقوله هناك: **(تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)** [سورة القيامة:25].

وقد ذكر هنا في هذه السورة، **(إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلً)** [الانسان:27]، وهذا وجه من وجوه المناسبة[1].

وذكر الإمام الحافظ أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن في (ص 198-199)، "**(هَلْ أَتَىَ عَلَى الإِنْسَانِ حِيْنٌ مِن الدَّهْرِ لِمْ يَكُنْ شَيْئَاً مَذْكُوراً)** [الإنسان:1]، تعريف للإنسان بحاله وابتداء أمره، ليعلم ألا طريق له للكبر، واعتقاد السيادة لنفسه، وألا يغالطه ما اكتنفه لنفسه من الألطاف الربانية، والاعتناء الإلهي والمكرمة، فيعتقد أنه يستوجب ذلك ويستحقه: **(ومَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِن الله)**، [النحل: 53].

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ولما تقدم في القيامة إخباره تعالى عن حال منكري البعث عناداً واستكباراً وتعامياً عن النظر والاعتبار: **(أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ)**، [القيامة: 3] وقوله بعد: **(فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ)**، [القيامة: 31-33] أي يتبختر عدواً واستكباراً ومرحاً وتجبراً، بعد (إخباره)[1] بحاله التي لو فكَّر فيها لما كان منه ما وصف، وذلك قوله: **(ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ)** [القيامة: 37-38]، أتْبع ذلك بما هو أغرق في التوبيخ، وأوغل في التعنيف، وهو أنه قد كان لا شيء، فلا نطفة ولا علقة، ثم أنعم الله عليه بنعمة الإيجاد، ونقله من طَوْر إلى طَوْر، فجعله من نطفة من ماء مهين، في قرار مكين، ثم علقة، ثم مضغة، إلى إخراجه وتسويته خلقاً آخر: **(فتبارك اللهُ أحْسَنُ الخالِقِين)** [المؤمنون: 14]، فمن اعتبر باتصافه بالعدم ثم تقلبه في هذه الأطوار المكتنف حلها والواضح فناؤها واضمحلالها وأيده الله بتوفيقه، عرف حال ومآل من وصف في قوله: **(ثمَّ ذهبَ إلى أهلِهِ يَتَمَطَّى)**.

فسبحان الله ما أعظم حلمه وأكرم رفقه!

ثم بين الله تعالى أنَّ ما جعله للإنسان من السمع والبصر، ابتلاء له، ومن أدركه الغلط وارتكب الشطط"[2].

ومن وجوه المناسبة بين سورة الإنسان وسورة القيامة: إنه تعالى فصَّل في القيامة أحوال الكافرين عند الموت وما يعانون من قهر وندم في قوله تعالى: {كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق} إلى قوله تعالى: {أولى لك فأولى}، (26-35)، وفي هذه السورة فصل أحوال المؤمنين في حياتهم والتي استوجبوا بها النعيم الموصوف في السورة. وذلك في قوله: {يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً}، إلى: {فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقَّاهم نضرة وسروراً}117

المبحث الثاني سورة النبأ:

﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**﴾ [النبأ:1]

---

2 الثقفي، الإمام الحافظ أحمد بن ابراهيم بن الزبير، البرهان في تناسب سور القرآن، (ص198-199).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون، وهي سورة مكية وعدد آياتها أربعون آية وترتيبها بالمصحف ثمان وسبعون، وهي "نموذج كامل لأهوال يوم القيامة وصورها المرعبة، تتحدث عن مشاهد الحساب والجزاء والعقاب، وتتحدث عن النعيم والجحيم في صور تقرع وتذهل وتزلزل كمشاهد يوم القيامة الكونية في ضخامتها وهولها".[1]

والآن سأتحدث عن الاتساق والانسجام بوصفهما فرعي الدراسة النصية وكونهما محور بحثي ودراستي:

المطلب الأول: الاتساق في سورة النبأ:

افتتحت سورة عم يتساءلون أو سورة النبأ بالاستفهام المثير الموحي بالاستهوال والتعظيم والتضخيم للحقيقة التي يختلفون عليها وهي يوم القيامة، فـ (عم يتساءلون) هي جملة إنشائية استفهامية طلبية، وهي جملة مركبة؛ لأنها مؤلفة من الاستفهام وجوابه، فالسؤال: عم يتساءلون؟ أي عن أي شيء يتساءلون؟ فيأتي الجواب في الآية التي تليها مباشرة، عن النبأ العظيم وهو يوم القيامة، الذي هم فيه مختلفون. "فقوله: (عم يتساءلون)، الأصل (عن، ما) فأدغمت النون في الميم؛ لأن الميم تشاركها في الغنة، كذلك قال الزجاج. وحذفت الألف؛ ليتميز الخبر عن الاستفهام، وكذلك (فيم و مم) ونحو ذلك، والمعنى عن أي شيء يسأل بعضهم بعضاً، وقرأ الجمهور: (عمَّ) بحذف الألف لما ذكرنا، وقرأ أُبيّ وابن مسعود وعكرمة وعيسى بإثباتها، ومنها قول الشاعر:

علاما قام يشتمني لئيم؟ كخنزير تمرَّغ في دمان.

ولكنه قيل: لا يجوز إلا للضرورة، وقرأ البَزِّي: بهاء السكت عوضاً عن الألف، وروي ذلك عن ابن كثير.

قال الزجاج: اللفظ لفظ استفهام، والمعنى تفخيم القصة، كما تقول: أي شيء تريد؟ إذا عظمت شأنه.

قال الواحدي: قال المفسرون: لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبرهم بتوحيد الله، والبعث والموت، وتلا عليهم القرآن، جعلوا يتساءلون بينهم، يقولون: ماذا جاء به محمد، وما الذي أتى به؟ فأنزل البارئ جل في علاه: (عم يتساءلون).

1 قطب، سيد، في ظلال القرآن، (ص 4450).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263 ISSN:2958-8537 Issue: N14
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

قال الفرَّاء: التساؤل هو أنْ يسألَ بعضُهم بعضاً كالتقابل، وقد يستعمل أيضاً في أن يتحدثوا به، وإن لم يكن بينهم سؤال، قال تعالى: ﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ**﴾ الصافات [50-51]، وهذا يدل على أنه التحدث، ولفظ ما موضوع لطلب حقائق الأشياء، وذلك يقتضي كون المطلوب مجهولاً، فجعل الشيء العظيم الذي يعجز العقل عن أن يحيط بكنهه كأنه مجهول، ولهذا جاء سبحانه بلفظ (ما). ثم ذكر سبحانه تساؤلهم عن ماذا وبينه فقال: (عن النبأ العظيم)، فأورد سبحانه أولاً على طريقة الاستفهام مبهماً، لتتوجه إليه أذهانهم، وتلتفت إليه أفهامهم، ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون، هل أخبركم به؟ ثم قيل بطريق الجواب: (عن النبأ العظيم)، على منهاج قوله: ﴿**يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ**﴾ [غافر: ١٦]، فالجار والمجرور متعلقان بالفعل الذي قبله، أو بما يدل عليه. قال ابن عطية: قال أكثر النحاة: (عن النبأ العظيم)، متعلق بـ يتساءلون، الظاهر كأنه قال: لم يتساءلون عن النبأ العظيم؟ وقيل: ليس بمتعلق بالفعل المذكور؛ لأنه كان يلزم دخول حرف الاستفهام، فيكون التقدير، أعن النبأ العظيم؟ فلزم أن يتعلق بـ يتساءلون آخر مقدر"[1].

وهناك سؤال يتبادر إلى الأذهان، وهو: لماذا افتتح الباري جل في علاه هذا الجزء وهذه السورة التي هي مفتاح الجزء الثلاثون بالسؤال عن يوم القيامة؟ ولماذا قال عم يتساءلون عن النبأ العظيم ولم يقل الخبر العظيم؟ يجيب على هذا السؤال فاضل السامرائي في كتابه لمسات بيانية، فيقول:" النبأ كما يقول أهل اللغة أهم من الخبر وأعظم منه وفيه فائدة مهمة، ﴿**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [النمل: 22]، وفي القرآن النبأ أهم من الخبر ﴿**قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ**﴾ [ص:67]، و ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾، والنبأ في اللغة: هو الظهور، وقد استعمل القرآن الكريم كلمة (خبر) مفردة في موطنين، في قصة موسى عليه السلام، الموطن الأول: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ [القصص:29]، الموطن الثاني: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ [النمل:7]، وهناك فرق كبير بين الخبر و النبأ العظيم.

[1] الشوكاني، فتح القدير، (ص1573).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفي أخبار الماضين والرسل استعمل القرآن (نبأ) ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التغابن: 5]،

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم:9]

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس:71].

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:120]، والصيغة الفعلية للنبأ (أنبأ) أقوى أيضاً منها للخبر، والمراد من هذا كله أن النبأ أعظم من الخبر". أما بالنسبة لافتتاح السورة بالسؤال (عم يتساءلون عن النبأ العظيم)، فهو للاستثارة والتهويل والتعظيم للحقيقة التي يختلفون عليها وهي القيامة، وللفت أنظار وانتباه السامع إلى هذا النبأ العظيم والخبر الجسيم وأهوال يوم القيامة والبعث والنشور وإثبات عقيدة اليوم الآخر والإيمان بالغيبيات..

المطلب الثاني: الانسجام في سورة النبأ:

تتمحور سورة النبأ:

– بالحديث عن المشركين وتساؤلهم عن القيامة وتكذيبهم بها، والحديث عن أهوالها والبعث والنشور والحساب والجزاء، وإبراز آيات الله في الكون، (الأرض مهاداً–الجبال أوتاداً–بنينا فوقكم سبعاً شداداً–جعلنا سراجاً وهاجاً–أنزلنا من المعصرات ماءً ثجاجاً–يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً–فُتِحت السماءُ فكانت أبواباً– سُيِّرت الجبالُ فكانت سراباً).

–وأيضاً تتكلم عن وعد الله ووعيده للكفار بأن جهنم لهم وسيخلدون فيها إن لم يصدِّقوا بيوم الدين ويتبعوا الرسول الأمين، فذوقوا: هذا جزاء من كذب بيوم القيامة.

ومن ثم يتناول الحديث عن المتقين المصدقين بيوم القيامة وماذا أعدَّ الله لهم: حدائق وأعناباً، وكواعب أتراباً. فهم خالدون مخلدون في الجنة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ويختتم الباري جل في علاه السورة: (إنا أنذرناكم عذابا قريباً، يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً).

فسورة المرسلات:

اختتمت بالتهديد والوعيد والويل الذي هو وادٍ في جهنَّم، لمن هذا الويل يا رب، للذين يكذبون بيوم القيامة وبالآخرة.

افتتح الباري جل في علاه سورة النبأ بنفس الصيغة ونفس الأسلوب، بالاستفهام لكن هذه المرة، الاستفهام المثير الموحي بالاستهوال والتعظيم والتضخيم للحقيقة التي يختلفون عليها وهي يوم القيامة، وتناول المكذبين بيوم الدين الذين يتساءلون عن الآخرة وعن القيامة، وهو بين مصدق ومكذب بالخبر.

ويختتم المولى تبارك وتعالى سورة النبأ بما اختتم به سورة المرسلات (إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً).

في السورتين تماسك رهيب وترابط قوي، وكأنهما سورة واحدة لشدة التماسك بينهما، وكأنهما مكملتين لبعضهما البعض، تشتركان السورتين بالحديث عن الكفار المشركين المكذبين، تشتركان بالحديث عن يوم القيامة وأهوالها، وعن الوعد والوعيد، وما أعده الله لمن كذب بيوم الدين.

جاء في تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور للسيوطي، قال: "وجه اتصالها (سورة النبأ) بما قبلها: تناسبها معها في الجمل. ففي تلك: ﴿**أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ**﴾ [المرسلات: 16-17]، ﴿**أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**﴾ [المرسلات: 20]، ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا..**﴾ [المرسلات:25] الى آخره، وفي عمَّ: ﴿**ألم نجعل الأرض مهاداً**﴾ [النبأ:6]، الى أخره، فذلك نظير تناسب جمل: ألم نشرح والضحى، بقوله في الضحى: ﴿**ألم يجدك يتيماً فأوى**﴾ (6) الى آخره. وقوله: ﴿**ألم نشرح لك صدرك**﴾ (1)، مع اشتراك هذه السورة والأربع التي قبلها في الاشتمال على وصف الجنة والنار، ما عدا المدثِّر في الاشتمال على وصف يوم القيامة وأهواله، وعلى ذكر بدء الخلق وإقامة الدليل على البعث. وأيضاً في سورة المرسلات: ﴿**لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ**﴾ [المرسلات:12-14]،

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وفي هذه السورة: ﴿**إن يوم الفصل كان ميقاتا، يوم ينفخ في السور فتأتون أفواجاً**﴾ [النبأ:17-18] إلى آخره، فكانت هذه السورة شرح يوم الفصل المحمل ذكره في السورة التي قبلها"[1].

"فنحن توقفنا عند سورتي المرسلات والنبأ، السورتين السابعة والسبعين و الثامنة والسبعين، خاتمة سورة المرسلات في جزاء كل من المؤمنين والمكذبين ﴿**إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ**﴾ [المرسلات: 41-46]، وبداية سورة النبأ، (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) والنبأ العظيم عند أغلب المفسرين هو يوم القيامة، فارتبط ما قبلها بما بعدها لأنه تلك من أحوال القيامة وهذا التساؤل هو عن يوم القيامة (ويل للمكذبين) ثم (عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون)، سيكون هناك ارتباط بالسورة التي قبلها"[2].

نوع الجملة	الاداة	مركبة أم غير مركبة	الإحالة	أداة الربط	استبدال	الحذف
استفهامية (عم يتساءلون)	عمَّ أصلها (عن: حرف جر، وربط. ما: اسم موصول)	جملة مركبة عم يتساءلون عن النبأ العظيم	إحالة الى المشركين	عن الذي، في	العظيم بدل من النبأ	يتساؤلون، حيث حذف يتساؤلون والتقدير: الذي يتساؤلون عنه

[1] السيوطي، جلال الدين، تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، ص132.

[2] السامرائي، فاضل، لمسات بيانية، ج30، ص 1.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

	تقديره: عن ماذا فأدغمت النون في الميم.	الذي هم فيه مختلفون				هو النبأ العظيم حذف النبأ ثانية: والتقدير النبأ العظيم هو الذي هم مختلفون فيه او عليه

المبحث الثالث سورة الغاشية:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**﴾ [الغاشية:1]

سورة الغاشية مكية وعدد آياتها ست وعشرون آية، "هي من السور الهادئة الباعثة إلى التأمل والتدبر، وإلى التطلُّع والرجاء، وإلى المخافة والتوجس والعمل ليوم الحساب"[1]. وهي خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، هل أتاك حديث يوم القيامة الذي يغشى الناس بأهواله المفزعة ويعمهم بشدائده. وهل أتاك بمعنى: قد جاءك حديث يوم القيامة. وقد نزلت سورة الغاشية: للتعرف على أهوال يوم القيامة، ومدى شدتها وهولها على الكفار ولإخبارهم بالعذاب الذي ينتظرهم.

والغرض من السؤال: هو التعظيم والتعجب مما في حيزه.

[1] قطب، سيد، في ظلال القرآن الكريم، ص4565.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

و"(الغاشية): القيامة لأنها تغشى الخلائق، وفي المختار، الغشاء: الغطاء، وجعل على بصره غُشاوة، بضم الغين وفتحها وكسرها. وفي المصباح: (يقال: إن الغشى تعطُّل القوى المتحركة والأوردة الحساسة؛ لضعف القلب بسبب وجعٍ شديدٍ أو بردٍ أو جوعٍ مفرطٍ، وقيل الغشى: هو الإغماء، وقيل: الإغماء امتلاء بطون الدماغ من بلغمٍ باردٍ وغليظ.

وقيل الإغماء: سهو يلحق الإنسان مع فتور الأعضاء لعلة. وغشيته أغشاه من باب تعب أتيته، والاسم الغشيان بالكسر.

وسأتناول الآن الحديث عن الاتساق والانسجام بوصفها فرعي الدراسة النصية وأيضاً كونهما محور بحثي ودراستي.

المطلب الأول: الاتساق في سورة الغاشية:

(هل أتاك حديث الغاشية)

افتتح المولى تبارك وتعالى هذه السورة بالاستفهام، والمولى تبارك وتعالى لا ينقصه علم فهو العالم بالمطلق وإنما افتتح السورة بالاستفهام ويراد به التحقيق، أي: (قد جاءك حديث ونبأ يوم القيامة وخبرها).

"فالافتتاح بالاستفهام عن بلوغ خبر الغاشية مستعمل في التشويق الى معرفة هذا الخبر لما يترتب عليه من الموعظة، وكون الاستفهام ب (هل) المفيدة (قد)، فيه مزيد تشويق، فهو استفهام صوري، يكنى به عن أهمية الخبر بحيث شأنه يكون بلغ السامع، وقد تقدم نظيره في قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ**﴾ [ص: 21]، وقوله: (هل أتاك حديث موسى) [النازعات: 15]"[1].

(هل) للاستفهام وهنا جاءت للتحقيق بمعنى قد، أي (قد جاءك حديث الغاشية). وهي جملة إنشائية طلبية استفهامية، وهي مركبة؛ لأنها مؤلفة من الاستفهام وجواب الاستفهام. فالسؤال: هل أتاك حديث الغاشية؟ ويأتي الجواب مباشرة وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة. "بهذا المقطع تبدأ السورة التي تريد لترد القلوب الى الله، ولتذكرهم بآياته في الوجود، وحسابه في الآخرة وجزائه الأكيد وبهذا الاستفهام الموحي بالعظمة الدال على التقدير؛ الذي يشير في الوقت ذاته إلى أن أمر الآخرة مما سبق به التقدير والتذكير.

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ج30، ص 294.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتسمى القيامة بهذا الاسم الجديد: (الغاشية) أي الداهية التي تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها، وهو من الأسماء الجديدة الموحية التي وردت في هذا الجزء، الطامة.. الصاخة.. الغاشية.. القارعة.. مما يناسب طبيعة هذا الجزء المعهودة. وهذا الخطاب: هل أتاك؟ كان يحسُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه موجه إلى شخصه، حيثما سمع هذه السورة، وكأنما يتلقاه أول أمر مباشرة من ربه، لشدة حساسية قلبه بخطاب الله-سبحانه- واستحضاره لحقيقة الخطاب، وشعوره بأنه صادر إليه بلا وسيط حيثما سمعته أذناه. ثم يعرض شيئاً من حديث الغاشية: (وجوه يومئذ خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى ناراً حامية، تسقى من عين آنية، ليس لهم طعام الا من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع) [الغاشية: 2-7]. إنه يعجل بمشهد العذاب قبل مشهد النعيم؛ فهو أقرب الى جو (الغاشية) وظلها فهناك وجوه يومئذ خاشعة ذليلة متعبة مرهقة، عملت ونصبت فلم تحمد العمل ولم ترض العاقبة، ولم تجد الا الوبال والخسارة، فزادت مضضاً وإرهاقاً وتعباً، فهي: (عاملة ناصبة) عملت لغير الله، ونصبت في غير سبيله. عملت لنفسها وأولادها. وتعبت لدنياها وأطماعها، ثم وجدت عاقبة العمل والكد، وجدته في الدنيا شقوة لغير زاد. ووجدته في الاخرة سواداً يؤدي إلى العذاب"[1].

فتبدأ السورة بالاستفهام. "فننظر من المستفهم؟ ومن المستفهم منه؟ ومن المستفهم عنه؟

إن المستفهم في الخطاب هو الحق جل في علاه، والله سبحانه وتعالى منزه أن يستفهم ليفهم؛ لأن الأصل في الاستفهام: أن تريد فهم ما لا تعلم، ولكن السؤال قد يرد لغير ذلك، يرد لا ليعلم السائل، ولكن ليقرر المسؤول، لأن السائل لو نطق بالحكم من عنده، كان خبراً، ففي قول الحق سبحانه وتعالى، مثلاً: (ألم نشرح لك صدرك)، أيستفهم المولى جل في علاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليفهم هل شرح صدره أم لا؟! وهل الحق جل جلاله يحتاج أن يستفهم أنه شرح صدر محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي شرحه؟!

إذن فحقيقة الاستفهام لا تتأتى هنا، لكن بدلاً من أن يقول الحق سبحانه وتعالى: (إنا شرحنا لك صدرك)، فيكون إخباراً من الله عز وجل، فإنه يدع الإخبار لمشروح الصدر؛ ليجيب هو: (نعم يا رب، شرحت لي صدري)، فيكون إقراراً منه

1 قطب، سيد، في ظلال القرآن، ص4565.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

لما فعل الحق سبحانه وتعالى به، هذا الإقرار بفعل الحق تثبيت للأمر؛ لأن الله لو قال ذلك فربما وُجِد مجادل، ولكن مشروح الصدر نفسه هو الذي سُئِل، وهو الذي أجاب.

إذن ففائدة نقل الكلام من الخبر إلى الإنشاء الاستفهامي: هو تقرير الخبر بأوضح حجة، ولذلك تجد أيضاً مرتبة بلاغية، فكان من الممكن أن يقول المولى جل في علاه لرسوله: أشرحت لك صدرك؟ وتؤدي الغرض أيضاً، ولكن الله جاء بها على طريقة النفي؛ حتى لا يكون السؤال إيحاء بالجواب، كما تكون قد صنعت جميلاً مع رجلٍ، ثم أنكر ذلك الجميل، فتقول له: ألم أحسن إليك في كذا؟ أولم أحسن إليك في كذا؟ أولم أحسن إليك في كذا؟ ..تأتي له بالنفي، لأن الواقع يردُّ النفي إلى إثبات، فهو يجد أنك لم تلوِّح إليه بالجواب ولم تعطه فكرة أن يجيب. إذن، فقول الحق سبحانه وتعالى: (هل أتاك حديث الغاشية)، لون من ألوان التقرير، أو من التفخيم عن المسؤول عنه"[1].

الجملة	نوع الجملة	الاداة	مركبة أم غير مركبة	الإحالة	أداة الربط	استبدال
هل أتاك حديث الغاشية	استفهامية	هل أداة استفهام وربط	مركبة؛ لأنها مؤلفة من الاستفهام وجواب استفهام.	فيه إحالة للنبي عليه الصلاة والسلام.	الكاف في أتاك	استبدل المولى تبارك وتعالى القيامة بالغاشية.

المقابلة	
حال الأشقياء الكافرون	حال الأتقياء المؤمنون
وجوه يومئذ خاشعة	وجوه يومئذ ناعمة

[1] الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، (ج30، ص327-329).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

عاملة ناصبة	لسعيها راضية
تصلى ناراً حامية	في جنة عالية
تسقى من عين آنية	لا تسمع فيها لاغية

المطلب الثاني: الانسجام في سورة الغاشية:

هناك انسجام وعلاقة ترابط بين سورة الغاشية وما قبلها (سورة الأعلى) والسورة التي تليها (سورة الفجر).

سورة الأعلى: افتتحت بتنزيه الحق جل في علاه عن النواقص وذكر بعض صفاته تعالى مثل: (الخلق، التقدير، إخراج المرعى والنبات للبهائم والثمار للإنسان..الخ).

– تناولت الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وكيف علَّمه بلا معلم أو سبق له أن تعلم، وتيسير الله تبارك وتعالى له شؤونه كلها.

– تناولت الحديث عن الأشقياء وما يقاسونه من ألوان العذاب يوم القيامة جزاء على ما اقترفوا في الدنيا وتخليدهم في النار.

– ختمت بأنه من أطاع الله ورسوله فهذا الذي سيفلح ويربح.

ويبين المولى تبارك وتعالى أن الآخرة خير من الدنيا.

سورة الغاشية: تناولت الحديث عن يوم القيامة وعن أهوال القيامة وكيف ينقسم الناس صنفين: صنف في النعيم وآخر في الجحيم.

وصف الله الجنة وما أعده الله للمتقين والنار وما أعدت له للكافرين.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

– تناول الحق سبحانه الحديث عن الإبل، وصبرها وتحملها العطش والجوع وقدرتها على السفر والحمل وقطع الفيافي والصحاري، وجعلها الله خدمة للإنسان يركب ظهرها ويشرب لبنها ويستفيد من وبرها، كله من صنع الله. فتفكر وتدبَّر أيها الإنسان.

ختم الباري جل في علاه السورة بحثِّ النبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الدعوة وتأدية الرسالة، وأنه غير مسؤول عمن تولى وكفر وأعرض، فحسابه على الله.

سورة الفجر: يفتتح الحق تبارك وتعالى السورة بالقَسَم بالفجر والليالي العشر الأولى من ذي الحجة وبالشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة.

ثم يتناول الحديث عن الأمم السابقة من عاد وقوم ثمود وفرعون وإرم، كل هؤلاء الطغاة الذين أفسدوا في الأرض أهلكهم الله وصعب عليهم ألوان العذاب وجعلهم عبرة لمن خلفهم من الأمم الذين أرادوا الإفساد أو الفساد..

ومن ثم يختم السورة بأن الخلائق كلها راجعة إلى الله وما أعده المولى للنفس المؤمنة المطمئنة.

فسورة الأعلى: أختتمها الباري جل في علاه بالحديث عن الآخرة وأنها هي الأفضل والأخير والأحسن لمن أطاع الله واتقاه.

وسورة الغاشية: اختتمها الحق جل في علاه بالحديث عن الآخرة (إنَّ إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم).

وسورة الفجر : اختتمت بالحديث عن الآخرة والرجوع الى الله (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي).

ففي هذه السورة الثلاث ترابط وثيق وانسجام عميق كلها اختتمت بالحديث عن الآخرة وما أعده الله تبارك وتعالى للمؤمنين الممتثلين أوامر ربهم جل في علاه.

"سورة الغاشية جاء موضعها من الكتاب بعد سورة الأعلى، وفي هذه السورة نجد أن المناسبة وثيقة بينها وبين سورة الأعلى، فسورة الأعلى تحدثت عمَّن (تزكَّى): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [سورة الأعلى:14-15]،

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

وتحدثت عن الأشقى: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ [سورة الأعلى:12-13]، فكأنها تكلمت عن الإيمان، وما ينتظر المؤمن من جزاء الله، وتكلَّمت عن الكافر وما ينتظر الكافر من عذاب الله، فجاءت تلك السورة أيضاً لتوضح هذا المعنى وتزيده تأكيداً في: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ) [الغاشية:2] و (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ) [الغاشية:3] وأيضاً تعرضت سورة الأعلى إلى مسألة التذكير: (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى) [الأعلى:9]، وحين يقول الحق تبارك وتعالى لرسوله: (فذكِّر إن نفعت الذكرى)، يأتي في السورة الأخرى ليحدد له مهمته تحديداً أساسياً: (فذكر إنما أنتَ مذكِّر، لستَ عليهم بمسيطر) [الغاشية:21-22]، وبذلك يكون قد رفع العبء عن رسوله عليه صلوات ربي وسلامه في أن يعلمه أنه مطلوب منه أن يذكِّر فقط، وليس عليه أن يهدي، أو أن ينتهي الناس لما يقول، بل عليه أن يذكر فقط، فقال له: (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر)، وذلك فيه تخفيف من عبء الرسالة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتخفيف من عبء من يحملون تلك الرسالة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يعنيهم أن يذكر الناس أو أن لا يذكرون، لأن مهمتهم فقط التذكير وليسوا مسيطرين على الخلق، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى في آية أخرى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6] وكذلك (وما عليك ألا يزكى).

إذن فالحق تبارك وتعالى بعد أن أطلق التذكير في سورة الأعلى، حدده بأن نتائج مهمتك تنتهي عند ذلك، فلا تشغل بالك، ولا تقلق، ولا تبخع نفسك إن لم يؤمنوا.

وأيضاً تكلمت سورة الأعلى عن منهج الفلاح، ومنهج الفلاح مثلناه في قوله سبحانه وتعالى: (قد أفلح من تزكى) [الأعلى:14-15]، أي طهَّر عقيدته، والتزكية هي التطهير والنماء، (وذكر اسم ربه)، ذلك منهج القول في الإسلام..(فصلى).. وذلك منهج الحركة والعمل، فكأن سورة الأعلى لخصت منهج الإسلام في أنه تصديق بالوجدان: (قد أفلح من تزكى)، وإقرار باللسان: (وذكر اسم ربه) وعمل بالأركان: (فصلى).

وبعد ذلك يتكلم الحق جل جلاله في سورة الغاشية عن المنهج الذي يضعه البشر لنفسه، وهو منهج قد أتعبه في حركة الحياة، ولا يأتي له بطائل. وإذا ما نظرنا إلى الحركة في الحياة، وجدنا أنه حتى الذين لا يؤمنون بإلهٍ، فإن حركتهم في الحياة متمثلة أولاً: في أنه يُقدِّر الهدف من الحركة، فلا يمكن لإنسان أن يفعل فعلاً قبل أن يحدِّد الهدف من هذا الفعل، ويجب أن يكون الهدف معوضاً لمتاعب الإنسان من حركة العمل، ومعنى معوِّض: أنه يعطيه من المتعة والراحة فوق

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ما يأخذ العمل منه من المشقة والتعب، فلو أن العمل يعطيك من الراحة على قدر المشقة فقط لما كان هناك ضرورة للمشقة أصلاً، لكن كل عمل يعمله العاقل لابد أن يأخذ حصيلة من عمله فوق مشقة عمله، وبذلك يكون نجاح العمل للذين يعيشون في هذه الحياة، فإنما يعملون ويكدون ويجتهدون، ونقول لهم بمقياس العقل: يجب أن تحددوا نفعكم من هذا العمل بما يفوق مشقتكم في هذه الحياة، فإن كنتم عاملين وناصبين وفي مشقة، فما هي النتيجة النهائية لذلك العمل؟! إن الحق سبحانه وتعالى يعرض هذه اللمحة في قوله سبحانه وتعالى: (عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية [الغاشية: 3-4]..

فكأن المعنى: فما ظنك بمن يعمل عملاً، وينصب نصَبَاً، ثم لايجد لذلك العمل نتيجة، ولا فائدة بل يجد له مضرة في أنه سيصلى ناراً حامية، إذن، فأساس فكرته في العمل فكرة خاطئة، وذلك دليل حمق الحركة في الحياة. فكأن الدين حينما جاء، قد جاء ليجعل لحركة الإنسان في الحياة هدفاً، وغاية، وراحة، تعقب التعب من العمل.

فسورة الغاشية: أتت لتخدم هذه الأغراض كلها، وعلى طريقة القرآن في عرضه للقضايا، يعرض قضايا غيبية، ثم يؤكدها بقضايا مشهدية؛ يعني قضايا مُحَسَّة، فينقلنا إلى الغيب بواسطة المُحسِّ، فسورة الغاشية إذن، جاءت لخدمة الأغراض الأساسية في سورة الأعلى بوضوح"[1].

ذكر البقاعي في كتابه نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (ج22، ص1-4) حول ما جاء في سورة الغاشية قال: "مقصودها شرح ما في آخر (سبِّح) من تنزيه الله سبحانه وتعالى عن العبث بإثبات الدار الآخرة التي الغاشية مبدؤها، وذكر ما فيها للأتقى والأشقى، والدلالة على القدرة عليها. وأدل ما فيها على هذا المقصود (الغاشية) نعوذ بالله من القلب الغاشي والبصيرة الغاشية.

فلما ختمت (سبح) بالحث على تطهير النفوس عن وطر الدنيا، ورغَّب في ذلك بخيرية الآخرة تارة والاقتداء بأولي العزم من الرسل أخرى، فقال تعالى مذكراً بالآخرة التي حث عليها آخر تلك مقرراً لأشرف خلقه صلى الله عليه وسلم لأن ذلك أعظم في تقدير أتباعه، وأقعد في تحريك النفوس إلى تلقي الخبر بالقبول: (هل أتاك)، أي جاءك وكان ذلك، وواجهك

1 المصدرنفسه، (ج30، ص325-326).

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

على وجه الوضوح، يا أعظم خلقنا. (حديث الغاشية) أي القيامة التي تغشى الناس بدواهيها وشدائدها العظمى، وزواجرها ونواهيها، فإن الغش لا يكون إلا فيما يكره.

وقال الامام أبو جعفر ابن الزبير: لمَّا تقدَّم تنزيهه سبحانه عمَّا توهَّم الظالمون، واستمرت آي السورة على ما يوضح تقدس الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم، أتبع ذلك بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة الاستفهام تعظيماً لأمرها، فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (هل أتاك) يا محمد (حديث الغاشية) وهي القيامة، فكأنه سبحانه وتعالى يقول في ذلك اليوم: وفي ذلك اليوم يشاهدون جزاءهم ويزداد تحسرهم حين لا يغني عنهم، ثم عرف بعظيم امتحانهم في قوله: (ليس لهم طعام إلا من ضريع) مع ما بعد ذلك وما قبله، ثم عرف بذكر حال من كان في نقيض حالهم إذ ذلك أزيد في الفرح وأدهى، ثم أردف بذكر ما نصب من الدلائل وكيف لم يغن فقال: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) أي أفلا يعتبرون بكل ذلك ويستدلون بالصنعة على الصانع، ثم أمره بالتذكار.

ولمَّا هوَّل أمرها بإبهامها وعمومها، زاد في التهويل بما ذكر من أحوالها في تفصيل الناس إلى شقي وسعيد، وبدأ بالشقي، لأن المقام لإنذار المؤثر للحياة الدنيا، وسوَّغ الابتداء بالنكرة للتفصيل فقال: (وجوه) إلى كثيرة جداً كائنة (يومئذٍ) أي تغشى الناس (خاشعة) أي ذليلة مخبتة من الخجل والفضيحة والخوف والحسرة التي لا تنفع في مثل هذا الوقت (عاملة) أي مجتهدة في الأعمال التي تبتغي فيها النجاة، حيث لا نجاة بفوات دار العمل فتراها جاهدة فيما كلفتها به الزبانية من جر السلاسل والأغلال وخوض الغمرات من النيران ونحو ذلك كأن يقال له: أدِّ الأمانة، ثم تتمثل له أمانته في قعر جهنم، فتكلَّف النزول إليها وهكذا، وهذا بما كان يهمل العمل في الدنيا. (ناصبة) أي هي في ذلك في غاية التعب والذُؤوب في العمل والاجتهاد– هذا في رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما– وذلك لأنهم لم يخشوا الله في الدنيا فلم يعملوا له، فلم ينصبوا في طاعته أجسادهم فاطرهم في ذلك اليوم إلى أعظم مما أَبَوه في الدنيا مع المضرة دون المنفعة، ويجوز أن يراد بها الذين تعبوا ونصبوا في الدنيا أجسامهم، وهم على غير دين الإسلام، كالرهبان من النصارى بعد النسخ، وزنادقة المتصوفة من الفلاسفة وأتباعهم، بأن يكون (وجوه) مبتدأ و(يومئذٍ) خبره، أي كائنة يومئذٍ،

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

ثم يقدر ما بعدها في جواب سؤال سائل يقول: ما شأنها؟ فأجيب بقوله: خاشعة، أي في الدنيا والآخرة، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء"[1].

"وأنا أرى أن الغاشية التي هي يوم القيامة وهي الطامة والصاخة والقارعة، وكأنه سبحانه وتعالى ذكرها في آخر القرآن، بل في آخر جزء منه؛ ليذكرنا في نهاية الأمر وآخر المطاف، أن لهذه الدنيا نهاية وأعمالنا سوف نحاسب عليها، فوجَّه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، وأراد به الناس عامة وكافة ليشمل الجميع بهذا الخطاب الذي ظاهره موجه لرسوله عليه الصلاة والسلام. وأطلق على يوم القيامة اسم الغاشية، وهي ما يغشى العيون فلا تُبصر جيداً أو تصبح الرؤيا ضعيفة، أو تغشى القلوب ليصبح القلب قاس. فمن شِدة الهول وعِظم الموقف ترتجِف القلوب وتشخص العيون مما تراه في هذا الموقف العظيم، اللهم سلم سلم"[2].

الخاتمة والتوصيات:

وبعد: فأحمدُ الله تعالى على توفيقه إيَّاي لإكمالِ بحثي هذا والذي تعبتُ جداً في تحصيل مراجعه، مع كل المتعة والشغف وأنا أواصل كتابتي وبحثي، وما كانت هذه الصفحات إلا موجز عن البحث بغية توضيح مجيئها في ثنايا الشرح، وفي ختام هذا البحث نخلص إلى النتائج التالية:

1-بيَّنت الدراسة مدى جمال العربية ورقتها وعذوبة ألفاظها وفروقاتها بالمعنى من الناحية البلاغية ودقة الفروق بالمعاني.

2- أوضحت الدراسة المعاني العذبة والجميلة والانتقاء الرباني لكلمات القرآن الكريم بشكل بالغ الأهمية، وأن لكل حرف وكلمة وإن تشابها في المعنى، دور بالغ الأهمية يأتي في مكانه.

3- الإفادة من العلوم والنظريات اللسانية الحديثة فهي تساعد في زيادة فهم المعاني وحبذا تطبيقه على القرآن الكريم بشكل أوسع.

[1] البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج22، ص1-4.

[2] الرأي يعود للباحث، فهي وجهة نظر خاصة.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263 ISSN:2958-8537 Issue: N14
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

4- الاكثار من الأبحاث التي تدرس النحو والبلاغة في سياق القرآن الكريم، فالقرآن يزيدها ألقاً وجمالاً ووضوحاً وفهماً.

5- يوصي البحث لمن يريد الكتابة والبحث بالإكثار من المصادر القديمة فهي أمهات الكتب؛ لأن لكل عالم أسلوبه في الكتابة وفهمه لما يسلط عليه الضوء، وهذا الاكثار من المراجع يثري معلومات الباحث ويجعله أكثر ثقة بنفسه.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية – مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الزيتونة الدولية
https://journal.ziu-university.net
30/09/2023
ISSN:2958-8537 Issue: N14 العدد الرابع عشر : ص.ص233 -263
Al-Zaytoonah University International Journal for Scientific Publishing

المصادر والمراجع:

- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. (1421هـ-2000م)، *تفسير البيضاوي*، م1/ط1، بيروت-لبنان، دار الرشيد، د.ت.
- الرازي، فخر الدين. (1401هـ-1981م). *تفسير الفخر الرازي*، ج32 /ط1، دار الفكر.
- قطب، سيد، في ظلال القرآن.
- الاندلسي، أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية. (1422هـ-2001م)، *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*، ج1/ط1، بيروت-لبنان. دار الكتب العلمية.
- تحقيق: معروف، بشار العواد، الحرستاني، عصام فارس. (1415هـ-1994م)، *تفسير الطبري*، م1/ط1، بيروت-شارع سوريا، مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، جلال الدين. (1408هـ-1988م)، *معترك الأقران في إعجاز القرآن*. م1، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.
- السيوطي، جلال الدين. (911هـ-1491م)، *مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع*، ط1/الرياض، مكتبة دار المنهاج.
- الثقفي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير. (1427هـ)، *البرهان في تناسب سور القرآن*، ط1/ بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.
- السامرائي، فاضل، *لمسات بيانية*. جمع سمر ويسرا الارناؤوط.
- الشعراوي، محمد متولي. (1411هـ-1991م)، *تفسير الشعراوي*، القاهرة – مصر، دار أخبار اليوم.
- خطابي، محمد، *لسانيات النص*.
- ابن عاشور/ محمد الطاهر. (1984م)، *تفسير التحرير والتنوير*، الدار التونسية للنشر.
- البقاعي، برهان الدين إبراهيم بن عمر. *نظم الدرر في تناسب الآيات والسور*، القاهرة-مصر، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. (1428هـ-2007م)، *فتح القدير*، ط4/بيروت- لبنان، دار المعرفة.
- *أنوار التأويل وأسرار التنزيل*.